

القدرة على اللحاق بالركب

ربما



مايكل سبينس
Michael Spence

التقارب القادم
The Next Convergence

مستقبل النمو الاقتصادي في عالم متعدد السرعات
The Future of Economic Growth in a Multispeed World
Farrar, Straus & Giroux, New York, May 2011,
320 pp., \$27.00 (paper).

كنا نواجه مرحلة مفصلية في التاريخ الاقتصادي. وإن صح ذلك، فسنكون شهودا على حدث غير عادي، حدث لم يقع سوى مرتين فقط منذ بداية البشرية. فمستويات المعيشة لم تبد، عبر آلاف السنين، أي اتجاهات فعلية طويلة الأمد أو أي تباين كبير من بلد إلى آخر. ثم حدث، في القرن الثامن عشر، أول تحول مفاجئ في مسار التاريخ الاقتصادي. فقد استحدثت الثورة الصناعية ارتفاعا ملاحظا ومستمر في مستويات المعيشة، أولا في بريطانيا، وفي أماكن أخرى بعد ذلك. لكن هذا التحول لم يحدث إلا في أماكن قليلة، لا سيما في أوروبا، في أمم من أصل أوروبي، وفي اليابان. بينما ظلت بقية بلدان العالم، أي أكثر من أربعة أخماس البشرية، عالقة في الماضي الزراعي. وبحلول عام ١٩٥٠، أصبح العالم مكانا غير متكافئ بصورة عميقة.

ثم تحول مسار التاريخ فجأة مرة أخرى. فبعد عام ١٩٥٠، بدأت بعض البلدان، لا سيما في آسيا - التي كانت متأخرة عن الركب - تحقق النمو بمعدلات غير مسبوقة بلغت نحو ٧٪ سنويا، مما

مكنها من البدء في رآب الفجوة التي تبعتها عن الاقتصادات المتقدمة. وفي عهد أحدث، بدأ البلدان الأكثر اكتظاظا بالسكان - الصين والهند - في تحقيق معدلات نمو تقترب من ١٠٪. وإذا استمرت تلك الاتجاهات، فسوف نشهد قبل مماننا، تحولا تاريخيا ثالثا: تقاربا متجددا في مستويات المعيشة. وما كان ذات يوم مزية لفة محظوظة سيصبح شائعا بالنسبة للكثيرين. وهذه العملية التي يحتمل أن تشكل عهدا تاريخيا هي موضوع الكتاب الجديد المتميز الذي ألفه مايكل سبينس بعنوان التقارب القادم.

والعملية الحسابية الأساسية وراء هذا التقارب بسيطة، وتعرف باسم قاعدة ٧٢. وتقول هذه القاعدة إنه يمكنك حساب عدد السنين اللازمة لمضاعفة مستويات المعيشة، وذلك بقسمة ٧٢ على متوسط معدل النمو. ومن ثم، فإذا كان البلد المعني ينمو بمعدل ١٠٪، فإن مستوى معيشته سيتضاعف بنحو ٧ سنوات. ويعني ذلك أنه إذا بدأ البلد المعني بدخل للفرد قدره ٥٠٠ دولار أمريكي ونما بمعدل نحو ١٠٪ سنويا، فإن الدخل يمكن أن تصل إلى

نقود ميسرة

آدم فيرغسون
Adam Ferguson

عندما تموت النقود
When Money Dies

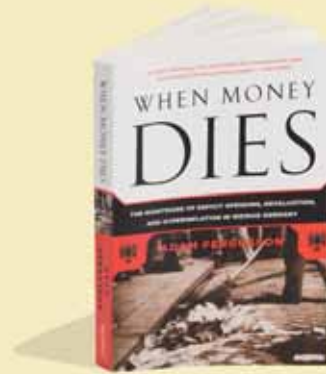
كابوس الإنفاق بالعجز، وخفض سعر العملة، والتضخم المفرط في جمهورية فايمر الألمانية

The Nightmare of Deficit Spending, Devaluation, and Hyperinflation in Weimar Germany

PublicAffairs, New York, 2010, 288 pp., \$14.95 (paper)

عندما

تموت النقود ليس كتابا جديدا، ولكن أعيدت طباعته. وبالرغم من ظهوره بداية في المملكة المتحدة عام ١٩٧٥، فإنه لم يُطبع في الولايات المتحدة إلا مؤخرا. وقد حظي ذلك الكتاب الغامض نوعا ما بوضع شبه مقدس بين صفوف رجال المال بعد ما تردد من أن وارن بوفيه - الملياردير والمستثمر المعروف - نصح أحد رجال المال الهولنديين بأن يقرأ الكتاب بوصفه تصورا لما يمكن أن يحدث اليوم إذا حاولت الحكومات



الأوروبية الخروج من الركود الاقتصادي. وسواء كان هذا الحوار قد جرى في الواقع بين الرجلين أو لم يجر، فقد ساعدت الشائعة في رفع سعر بيع النسخ القديمة من الكتاب إلى ما يربو على ١٠٠٠ دولار أمريكي. وتجاوب أحد الناشرين في الولايات المتحدة مع الموقف وأسرع بإصدار طبعة شعبية منه.

وهكذا يحظى هذا الكتاب الآن بدرجة من الأهمية المحورية مع لجوء الحكومات إلى «التييسير الكمي» كوسيلة لحفز الاقتصاد عقب الأزمات المالية الأخيرة. ويسرد الكتاب الآثار الأليمة

للتضخم المفرط في ألمانيا في أوائل عشرينات القرن الماضي عندما قام البنك المركزي الألماني وهو بنك الرايخ - بتمويل العجز العام ببساطة بطبع مزيد من أوراق النقد، وذلك بالرغم من أن البلاد كانت تعاني من نوبة حادة من التضخم بعد الحرب العالمية الأولى.

ويكتب المؤلف، آدم فيرغسون - الذي عمل مستشارا لوزير الخزانة أو وزير المالية في المملكة المتحدة، جيفرى هاو - بقوة عن التأثير المدمر للتضخم في وصفه لجذور التضخم المفرط الذي سيطر على ألمانيا عقب الحرب العالمية الأولى.

«لقد أدى التضخم إلى تفاقم حدة كل الشرور، ودمر كل فرص الإنعاش الوطني أو النجاح الفردي، وأفضى في النهاية إلى إيجاد ظروف أتاحت للمتطرفين من اليمين واليسار إثارة الغوغاء ضد الدولة، وتحريض طبقة ضد طبقة، وعرق ضد عرق، وأسرة ضد أسرة، والزوج ضد الزوجة، وحرقة ضد حرق، والمدينة ضد الريف. وقد قوض الإرادة القومية في حين كان يمكن دعمها من خلال مجرد الرغبة أو الحاجة إليها. ويُعزى ذلك جزئيا إلى طبيعته التمييزية غير العادلة، فقد أظهر أسوأ ما في الجميع - من رجال الصناعة والعمال،

١٦ ألف دولار أمريكي خلال نحو ٣٥ سنة. وبعد ذلك ببضع سنوات، تصبح الدخول في مستواها في الاقتصادات المتقدمة. وذلك بالطبع بافتراض استمرار هذا البلد في النمو بنفس الوتيرة.

وهذا في الواقع شرط مهم؛ لأن النمو عملية غامضة. فلم يستطع سوى ١٣ بلدا أن ينمو

النمو عملية غامضة [و] اللحاق بالركب بعيد عن أن يكون أمرا حتميا.

بمعدل ٧٪ في المتوسط على مدى ٢٥ سنة. ومن بين تلك الثلاثة عشر بلدا المحظوظة، لم يواصل سوى نصفها سعيه لبلوغ مستويات الاقتصادات المتقدمة. بمعنى آخر، فإن اللحاق بتلك الاقتصادات المتقدمة بعيد عن أن يكون أمرا حتميا.

والمزارعين والفلاحين، ورجال البنوك وأصحاب المحال، ورجال السياسة والموظفين الحكوميين، وربات البيوت، والجنود، والتجار، والحرفيين، وعمال المناجم، والمُقرضين، وأصحاب المعاشات، والأطباء، وزعماء النقابات، والطلاب، والسياح - خاصة السياح».

وبالرغم من عبء تعويضات الحرب، ففي مواجهة معارضة أحزاب جناح اليمين السياسية التي ازدادت قوة في البلاد، لم تجرؤ حكومة جمهورية فايمر - التي تأسست في ١٩١٩ - على رفع الضرائب على أصحاب الصناعات الثقيلة وغيرهم من رجال الصناعة الذين استفادوا من الحرب. ونتيجة لذلك، فلم يتم تمويل سوى ١٤٪ من نفقات الحرب في ألمانيا فحسب من الضرائب، مقابل ٣٠٪ في بريطانيا العظمى. وتم تمويل بقية النفقات من القروض أو من البنك المركزي مباشرة.

وترتب على ذلك أن ورثت جمهورية فايمر دينا عاما هائلا اضطرت إلى أن تسد عنه أسعار فائدة مرتفعة ومبالغ ضخمة من الفوائد. وبالرغم من الصعوبات والالتزامات الأخرى واصلت جمهورية فايمر تمويل جزء من عجزها السنوي

لهذا السبب، يتجنب سبينس أي تكهنات حول الشكل الذي قد يأخذه العالم المتقارب. ويركز بدلا من ذلك على أمر أكثر واقعية وهو ما الذي يتعين على البلدان عمله لتحقيق هذا الهدف.

وما هي المفاتيح المؤدية للنجاح؟ لا أحد يعرف ذلك حقا. لكن خبراء الاقتصاد لديهم بعض الأفكار - خاصة سبينس، وهو ليس حاصل على جائزة نوبل وحسب، ولكنه أيضا أعمل فكره مليا وبجدية في تلك القضايا بوصفه رئيسا للجنة المعنية بالنمو والتنمية التي أسهم البنك الدولي في تشكيلها. والكتاب الذي بين أيدينا هو ثمرة تلك السنوات من البحث والتفكير.

ويرى سبينس أن البلدان الفقيرة تنمو من خلال آليتين أساسيتين. أولا، حصولها على المعرفة من البلدان الغنية. وثانيا، تخصصها في إنتاج سلع تحتاجها بلدان أخرى بحيث تتحاشى محدودية القوة الشرائية المحلية والتباين بين ما يطلبه المواطنون المحليون وما يبرع البلد في إنتاجه. لكن النجاح يتطلب ببساطة أن تقوم البلدان بتوعية شعوبها وأن تندمج في الاقتصاد العالمي. ويتناول سبينس نقطة مهمة أخرى، فهو يشير

بمساعدة البنك المركزي مباشرة. وخرج التضخم في ألمانيا آنذاك عن نطاق السيطرة تماما عندما احتلت القوات الفرنسية منطقة «حوض الرور». وأعقب ذلك إضراب عام استجاب له الحكومة الألمانية بالموافقة على دفع أجور العمال. وقرر رئيس البنك المركزي، دون أي إدراك للعواقب، تمويل هذا الالتزام بالسماح للبنك المركزي بطبع كافة أوراق النقد «اللازمة» للمشروعات والشعب. وسرعان ما تحول التضخم إلى تضخم مفرط مصحوبا بخفض هائل لقيمة المارك الألماني وارتفاعات فلكية في أسعار السلع.

ويعتمد المؤلف على التقارير المباشرة في وصف الآثار المدمرة لدوامة التدهور الاقتصادي الذي كان أعظم من أي وقت مضى وأثره الاجتماعي: «أوضحت السيدة من عائلة بوستاو أن أحد المنازل تم بيعه لأن الزوجين القاطنين فيه فقدوا ابنيهما في الحرب ولم يكن لديهما أحد يرعاهما، وانخفضت قيمة المدخرات التي جمعها طوال سنوات عمريهما وانحترقا بالغان» وأضاف قائلة: «إن عصرنا هذا جعلنا متشائمين».

ويصف كتاب فيرغسون اليأس وانعدام الحيلة اللذين شعرت بهما قطاعات كبيرة من السكان

إلى أن كثيرا من البلدان يتوصل إلى صيغة ناجحة، مثل الصادرات التي تقوم على العمالة الكثيفة، ثم تحاول التمسك بها، وذلك أساسا بمنع أي زيادة في أسعار الصرف لديها. لكن النمو المستمر يقتضي حدوث تغيير هيكلية، حيث التصنيع القائم على العمالة الكثيفة يفسح الطريق للصناعات والخدمات المتقدمة مع زيادة المهارات والدخل.

ويناقش كتاب التقارب القادم طائفة من هذه القضايا، بما فيها المشكلات الهيكلية في الصين والهند والشكوك حول النماذج الاقتصادية الملائمة عقب الأزمة العالمية في عام ٢٠٠٨. وفي كل تلك الحالات، يوضح سبينس مسائل معقدة بلغة واضحة وبإيجاز ملاحظ. وأحيانا ما يأتي إيجازه ونطاقه على حساب ثراء وتنوع تجارب النمو، لكنه يقدم معظم المناقشات الاقتصادية العالمية الحرجة الدائرة حاليا بطريقة لا يسعك أن تجد أفضل منها.

جوش فيلمان
مدير مساعد في إدارة البحوث
صندوق النقد الدولي

والوضع السياسي الصعب في ألمانيا الذي كان وراء قرارات البنك المركزي، لكن المؤلف لم يناقش أي تفاصيل عن العلاقة بين التضخم وخفض قيمة المارك الألماني، كما أنه لم يقدم أي تفسير نظري للأحداث الصادمة التي وقعت في ألمانيا، بما فيها الظروف التي يؤدي في ظلها طبع النقود إلى زيادة التضخم أو تسارع وتيرته أو إلى التضخم المفرط. ويحتوي الكتاب على كثير من مراجع البيانات، إلا أنه لا يتضمن أي جداول أو أشكال بيانية تساند تلك الحقائق، وبالتالي فقد يجد القراء صعوبة في سد تلك الفجوة بأنفسهم. ويفتقر الكتاب أيضا إلى أي موازنة بين مزايا ومثالب التضخم المعتدل مقارنة بالبدائل المتاحة. ويمثل الكتاب تقريرا تاريخيا قويا، إلا أن فائدته محدودة في مساعدتنا على استخلاص الدروس من أجل موقفنا الاقتصادي الراهن.

يورغن كرومبات
أستاذ الاقتصاد في جامعة برلين التقنية
وعضو سابق في المجلس الألماني للخبراء
الاقتصاديين

محاولات تزيف بقرة

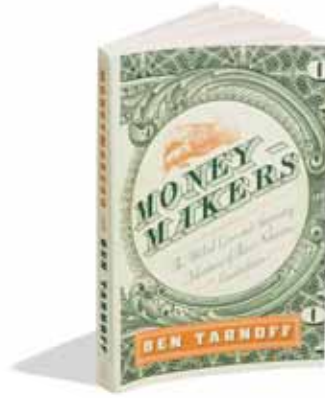
بن تارنوف
Ben Tarnoff

صانعو النقود
Money-makers

نبذة عن حياة الشر والمغامرات المدهشة
ثلاثة من أشهر المزيورين

The Wicked Lives and
Surprising Adventures of
Three Notorious
Counterfeiters

The Penguin Press, New York, 2011,
370 pp., \$27.95 (cloth).



بالغة الهشاشة
- إلا منذ فترة
متواضعة تبلغ
ثلاثة قرون
(حيث كانت
السويد أول من
استخدمها في
أواخر العقد
السابع من
القرن السابع
عشر). وحتى
ذلك الوقت،

كانت الكيانات المستخدمة تتمتع عامة بقيمة متوارثة، وكان تزيفها شبه مستحيل ولا جدوى منه مطلقا. فمن الذي قد يرغب في تزيف بقرة (فكلمة "pecuniary" (مالي) التي تعني في جذورها اللاتينية كلمة ماشية، تشير إلى الزمن الذي كانت الأبقار تستخدم فيه كأدوات للتداول في إيطاليا)، أو في الحصول على نسخة من جمل أو من صدف براق تستخدم كعملة، أو تزوير عُرف نقار الخشب، أو قالب من الشاي - أو حتى سبيكة من الذهب، ربما حتى بفعل سحر الكيمياء؟ لقد استخدمت كافة الأشياء ذات القيمة كوسائط للتبادل، وبالرغم من أن معظمها أثبتت عدم ملاءمتها للتبادل أو التخزين أو النقل، فقد تمتعت جميعها دون استثناء بميزة مهمة هي صعوبة نسخها.

لكن الأمر يختلف تماما مع الورق. فقد تغير كل شيء في الأمريكتين بمجرد أن بدأت مستعمرة خليج ماساتشوستس في طبع أوراقها النقدية في نهاية العقد الأخير من القرن السابع عشر - إذ أنه، كما يوضح بن تارنوف في روايته الممتعة، من خلال عالم الفوضى النقدية لأمريكا في بداياتها، وبعد لحظات من الظهور الأول للأوراق النقدية المطبوعة، بدأ أصحاب المشروعات بفيض من القدرة الفنية، ويقدر وسط بين المكر والصفافة، مع الاستعداد للمجازفة بالتعرض للسجن أو النفي أو حتى الموت، في نسخ أو تزيف تلك الأوراق النقدية المطبوعة كوسيلة للثراء السهل.

وقد تعرف تارنوف على المزيورين الثلاثة الأول الذين اختار التركيز عليهم منذ عامين، أثناء عمله في العدد الخاص عن «النقد» من مجلة «لافامز كوارترلي» (Lapham's Quarterly) الجديدة الرائعة. وكانوا هم الثنائي الغريب المكون من أوين سوليفان من مستعمرة نيو إنجلاند وديفيد لويس من بنسلفانيا في أوائل القرن التاسع عشر،

والمناضل الوطني سئ السمعة صمويل أوفام، الذي قام بتزيف أوراق النقد الكونغرسالية من خلال محل العطور الذي كان يمتلكه في وسط مدينة فيلادلفيا. ويحكي تارنوف قصة كل منهم بوضوح وتشويق - قصص عن ماكينات طباعة مخبأة في الكهوف، وعن القتال بالأسلحة النارية في الحانات المظلمة، وعن مجموعات المطاردة خلال سلاسل الجبال وعبر حقول الذرة المغطاة بالجليد. وهناك حكايات عن عمليات الاختلاس، وعن عمليات جريئة وخطط معقدة للنصب والاحتيال من ناحية، ومن ناحية أخرى روايات رائعة عن السلطة المتنامية وعن سرعة البديهة لدى وكلاء البنوك والمحققين السريين الذين حاولوا آنذاك وكانوا ينجحون عادة في النهاية في تعقب الأوغاد.

ولكن هناك المزيد من تلك الحكايات، فإضافة إلى التوضيح الجيد للتعقيدات الفلسفية وراء معنى قيمة الأوراق النقدية - وهو ما يجعل الكتاب وسيلة للتثقيف والإمتاع أيضا - يثبت تارنوف أنه أيضا أستاذ في التلاعب بالأفكار وبارع بذكاء في خلق أجواء الإثارة والغموض. ويمكن أن نرى شبه سيناريو رواية، وأن نشعر أنفاس الرغبة الحادة للإخوة كوين، وأن نتخيل من منهما (ستيف بوسمي؟ أم جيف بريدجز؟) قد يكون أصلح للقيام بدور الشرير.

ويتضح لنا في الحقيقة، أن رجاله الثلاثة جميعا من أطف المارقين، وهم نوعا ما من النموذج المحبوب لروبين هود - هذا النوع من الشخصيات التي تكسب تعاطفنا وإن كان قد مضى عليها قرنان من الزمن. ففي النهاية، كانت محاولاتهم هي مجرد خداع أصحاب البنوك أنفسهم الذين ظلوا يخدعوننا فترة طويلة من الزمن.

وإذا ما استعرضنا المشهد الحالي للمجتمع المالي، نجد أن ذلك هو أفضل توقيت لنشر كتاب تارنوف الأكثر إثارة. وهكذا، عندما قامت واشنطن بحل مشكلاتها في الطباعة، ربما كان يجدر بها تقديم إحدى تلك الأوراق النقدية الرائعة من فئة المائة دولار الجديدة للحصول على نسخة من الكتاب. لكن عليك مع ذلك توخي الحذر وأن تفحص بدقة جودة الأوراق النقدية من فئة المائة دولار التي حصلت عليها في عملية مبادلة، فقد يتضح أنها هي الأخرى لا قيمة لها. ولكنك أيضا ربما اكتشفت - إذا كنت تقدر الفرق - أنها ذات قيمة حقيقية.

سيمون وينتشر

مؤلف عدة كتب بما فيها كتاب بعنوان «أتلانتيك» وكتابه القادم «أليس فيما وراء بلاد العجائب»

سيبدأ المحفظ المزخرفة بشكل جيد في الحصول على نوع جديد من أوراق النقد فئة المائة دولار من خلال ماكينات الصرف الآلي أو صرافى الرواتب في وقت لاحق من ربيع هذا العام. وكان من المقرر بدء تداول تلك الأوراق النقدية الجديدة في شهر فبراير، إلا أنه نظرا للتعقيد البالغ في تصميمها، ودرجة الإثقان العالية للمزيج المكون لعلامتها المائية، وشرائطها المعدنية، ونقوشها الغائرة متغيرة الألوان، والسلوك الذي لا يمكن التنبؤ به للورق الذي يستخدم في طباعتها (إذ من الواضح أن النسخ التجريبية قد انكسرت بصورة سيئة تحت وطأة الضغط القاسي لإسطوانات الطباعة)، فإن الأمر يتطلب الآن عدة أسابيع إضافية قبل أن تنعم جيوبنا أو محافظنا بها.

لقد اعترضت حكومة الولايات المتحدة عن التأخير، لكنها ألمحت إلى ضرورة أن يرحب الجميع بهذا التأخير، فما دام المسؤولون في واشنطن يرون أن طباعة ذلك الإصدار النقدي الجديد مسألة شائكة، فلا ريب أن جحافل المزيورين هناك ستواجه صعوبة في تزيفها.

وهذا بالطبع هو الأمل الأبدى المعلن من جانب الاحتياطي الفيدرالي والبنوك المركزية الأخرى: ألا ينهار نظام النقد العالمي كليا - والذي لا يتكون إلا من قطع من الورق لا قيمة لها في حد ذاتها - بسبب المحاولات المتواصلة من جانب مجتمع المزيورين في شتى أنحاء العالم.

إن هذا النوع من المخاطر معروف منذ ٣٠٠ سنة أو أكثر - وربما أبعد من ذلك، وكان الصينيون حتما هم أول من استخدم النقود الورقية منذ ما يزيد على ألف سنة خلت. ولم نستخدم نحن في الغرب الأحدث عهدا أوراق الصرف - عديمة القيمة في حد ذاتها وإن كانت مدعومة تماما بثقة عامة